مادة النص الأدبي المعاصر **جميع التخصصات**

المستوى: السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

محاضرة رقم: 01 **قصيدة الشعر العمودي**

توطئة:

يتفق معظم النقاد العرب أن بداية الشعر العربي الحديث، كان مع ظهور الحملة الفرنسية بقيادة (نابليون بونابرت) على مصر عام 1798م، وبقيت ثلاث سنوات، وانتهى الأمر بسيطرة أوروبا على البلاد العربية، استفاد منها المصريون و بعض البلدان العربية في مجالات منها: السياسية والاجتماعية والفكرية، وفي هذه الفترة شهد العصر الحديث أو عصر النهضة تعاقب اتجاهين شعريين بارزين: الاتجاه الإحيائي ثم الاتجاه الرومانسي. وسنقف في هذه المحاضرة بإيجاز على نماذج من شعر البارودي والأمير عبد القادر الجزائري كأنموذجين للقصيدة العمودية.

1) تعريف الشعر العمودي :

هو أحد أنواع الشعر العربي، والذي تتمّ كتابته بناءً على قَواعد العروض التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ حَيث يهتمّ بالحفاظ على وزن الشعر واتّصاله كوحدة واحدة من بداية القصيدة وحتى نهايتها. يتكوّن الشعر العمودي من شطرين؛ حيث يُسمّى الشطر الأول بالصدر، والشطر الآخر بالعجز، ومجموع الشطرين يُطلق عليه اسم بيت.

والشعر العمودي هو أقدم أنواع الشعر والأساس الذي بُنيت عليه جميع أنواع الشعر؛ حيث استمرّ الشعراء في كتابة الشعر العمودي إلى حين ظهور مدارس الشعر الحديثة، مع الإشارة إلى أنّ العديد من الشعراء في العصر الحديث يُفضّلون نظم الشعر على طريقة الشعر العمودي، ويُشترط في كتابة هذا النوع من الشعر اللغة العربية الفصحى، ويلتزم الشاعر فيه ببُحور الشعر الستة عشر التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي.

2)خصائص الشعر العمودي

للشعر العمودي العديد من المميزات والخصائص التي ينفرد بها، فهو الأساس الذي بنيت عليه جميع الأشكال الشعرية الحديثة، ومن أهم تلك الخصائص ما يلي:

- الالتزام بالوحدة الموضوعية في القصيدة، وترابط أجزائها بطريقة متناسقة، وطرح أفكارها وسردها بأسلوب جميل وجذاب.

- استخدام المعاني الشعرية الواضحة والمعبرة عن الموضوع تعبيرًا صحيحًا، مع اتسام ألفاظها بالاستقامة، وتكون متناسقة مع المعنى الذي وجدت من أجله.

- الإكثار من استخدام أسلوب الوصف فيها.

- الإكثار من التشبيهات التي تتفق مع الأسلوب بطريقة جذابة ومتناسقة.

- الاعتماد على البديهة والارتجال خلال الأبيات الشعرية للنص الشعري.

- استخدام بحور الشعر الستة عشر التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتتمثّل في: البحر الطويل، البحر المديد، البحر البسيط، البحر الوافر، البحر الكامل، البحر الهزج، البحر الرجز، البحر الرمل، البحر السريع، البحر المنسرح، البحر الخفيف، البحر المضارع، البحر المقتضب، البحر المجتث، البحر المتقارب، البحر المحدث (ويُسمَّى كذلك بـ الخبَب والمتدارك)، وقد وضع الخليل هذه البحور لمساعدة الشّعراء على نظم قصائدهم.

3)الشعر العربي قبل مدرسة الإحياء والبعث:

كان الشعر العربي الحديث قبل المرحلة الاتباعية أو الكلاسيكية،" يتعثر في قيود الصنعة ويتخبط في أثقال الزخرف والزينة " إلى أن جاء من يُخلصه من مرحلة الضعف والركود، وهم رواد حركة البعث والإحياء بزعامة محمود سامي البارودي والأمير عبد القادر الجزائري، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران، وكان هؤلاء" بمثابة تحوّل حاسم بالنسبة للشعر العربي، ويتمثل هذا التّحوّل في تحرير الشعر من القيود اللفظية والبديعية التي كانت تقيّد حركته، وفي تجديد مضمونه"، وكان هذا بفضل إطلاعهم على التراث العربي القديم في أزهى عصوره، فاستنهضوا وبعثوا في الأدب روحًا جديدةً مستمدّة من منابع التراث الشعري العربي القديم واحتكاكهم بالثقافة الأجنبية، بعدما غيّب من قبل الأتراك لفترة طويلة.

أ)مرحلة البداية(قبل مرحلة البارودي):

كانت بداية الشعر العربي في العصر الحديث قبل مرحلة البارودي محتشمة جدا عند بعض الشعراء الذين عاشوا " في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبدايات القرن التاسع عشر، وهم يعبرون عن مرحلة الانتقال من شعر السطحية والابتذال والصنعة الذي شاع في العهد العثماني" ومن بين هؤلاء الشعراء: الشيخ حسين العطّار الذي يمثل بداية التخلّص من قيود الصنعة والاتجاه نحو الإحياء، والسيّد علي

الدرويش، و الشيخ ناصيف اليازجي، وشهاب الدّين الألوسي من العراق، وهؤلاء الشعراء تقليديون إلى حدّ بعيد، جمعوا بين النزعة التقليدية والنزعة الإحيائية، وقد وصف العقاد دواوينهم الشعرية أنّها أشبه ما تكون بكراسات الإنشاء في معاهد التعليم.

ب)مرحلة الريادة:

يمثل هذه المرحلة كلّ من **محمود سامي البارودي و الأمير عبد القادر الجزائري**، إذ يعدّ البارودي رائد الشعر العربي الحديث، وقد أثرت في تكوين شخصيته الأدبية مجموعة من العوامل هيأته للنهوض بالشعر العربي وبعثه من جديد في العصر الحديث، إذ تزود فيها بقراءة الجيّد من الشعر العربي القديم، وإجادته اللغتين التركية والفارسية، كما تعلّم وأجاد اللغة الإنجليزية لمّا تمّ نفيه إلى جزيرة سرنديب، كما أسهمت تجاربه وخبراته في الحياة، ومشاركته في المعارك الحربية، واشتراكه في الإدارة والسياسة، وتوليه الوزارة، ومن أهم هذه العوامل: استعداده الفطري لتذوق الشعر ونظمه، على الرغم من أنّه لم يقرأ كتابا واحدا في فنون اللغة العربية كما يشير إلى ذلك حسين المرصفي. يقول أحمد حسن الزيات في كتابه(تاريخ الأدب العربي):" إن كان لإمرئ القيس فضل في تمهيد الشعر وتقصيده، ولبشار في ترقيته وتجويده، فللبارودي كلّ الفضل في إحيائه وتجديده".

لقد نهج البارودي نموذجا شعريا يقوم على محاكاة الشعر العربي القديم، وبقي وفيًّا للقصيدة العمودية شكلا وموضوعا، خاصة في مسألة الوقوف على الطلل والفخر والغزل والرثاء. وكلّ هذه الموضوعات التي قالها الأقدمون، عبر البارودي من خلالها عن تجاربه وخبراته وعن مكابدته للحياة ونكبات الدهر .

يقف البارودي على الطلل ويتذكر الأحبة كعادة الأقدمين في قوله:

أَلاَ حَيَّ من أسماءَ رسمِ المنزل وإنْ هي لَمْ تَرْجَع بَيَانًا لِسَائِلِ

خَلاَءٌ تَعَفَتْهَا الرَوَامس والْتَقَتْ عَلَيْها أَهَاضِيبُ الغيُوم الحَوافِلِ

قال في الحماسة والفخر:

فَمَا كُنت إلاّ الليث أَنْهَضَهُ الطّوى وما كنت إلاَّ السَّيف فارقه الغمدُ

صؤولٌ وللأبطال همْسٌ من الوَنى ضروب وقلبُ القرنِ في صَدره يعْدُو

قال في الغزل:

يا راحلا غاب صبري بعد فرقته وأصبحت أسهم الأشواق تصميني

إن كان يرضيك ما ألقاه من كَمَدِ في الحب مذ غبت عني فهو يرضيني

قال البارودي في رثاء زوجته، وهو في منفاه:

لاَ لَوعَتي تَدَعُ الفُؤاد ولا يَدِي تَقْوى على رَدِّ الحَبِيبِ الغَادي

يَا دهْرُ فيم فجعتني بحَلِيلةٍ كانت خُلاصةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي.

تَقَصى البارودي شعر ابن المعتز وأبي الفراس وأمثالهم من فحول القصيدة العمودية، "فارتسم شعرهم على لوح قلبه، فاستخرج من مجموع تلك الأساليب أسلوبه الرائق الفخم، لذلك تحس وأنت تقرأ قصيدة من نظمه أن أرواح أولئك الفحول تحوم حول روحه، وتحلق فوق أبياته".

ويُعادِلُ الأمير عبد القادر الجزائري مكانة البارودي في نظم الشعر وفي فروسيته، ورغم أنّه عُرف بجهاده ضدّ الاستعمار الفرنسي، فإنّ هذا لم يمنعه من قرض الشعر على الطريقة العمودية التي انتهجها فطاحل الشعر العربي، شكلا وموضوعا، فنظم في شتى الأغراض الشعرية المعروفة كالفخر والوصف والغزل والتصوف.

سار الأمير عبد القادر على خطى الأقدمين يفتخر بنفسه ومقدرته على خوض الخطوب دون خوف أو عجز، فيقول:

إذا ما لقيتُ الخيلَ إني لأوّلُ وإن جال أصحابي فإنّي لها تال

أُدافع عنهم ما يخافون من ردي فيشكر كلّ الخلقِ من حسنِ أفعالي

وقال في وصف جمال البادية:

لو كُنتَ تَعلمُ ما في البدو، تَعْذِرُني لكن جَهِلْت، وكم في الجهل من ضررِ

تَسْتنشِقْنَّ نَسيمًا، طاب مُنْتَشَقًا يَزيدُ في الروح لم يمرُر على قَذَرِ

كما نجد أنّ الأمير قد برع في غرض الغزل العفيف، حيث يرى أنّ الحب ظاهرة إنسانية مقدّسة وغريزة طبيعية لا مفر منها، فيتذكر محبوبته وما فعلته به من سلب لفؤاده، فيقول متشوقا:

أخذوا قلبي، وماذا ضرهم أن يكونوا بجميعي جنحوا

أي عيشٍ يهنأُ لي بعدهم طار قلبي وعظامي ملحوا

وفي باب التصوّف يصور الأمير حالة الطمأنينة والسكينة التي غمرت روحه، بعد أن تحرّر من الأسر، وصار كحمام مكة آمنًا لا يخشى صيدا ولا قيدا، فيقول:

سكنَ فؤادي وقر الآن في جسدي فقد وصلت بحزب الله أحبالاً

وعِشْ هنيئًا، فأنت اليوم آمن من حمام مكة، إجرامًا وإحلالاً

لقد تمثّل الأمير عبد القادر الجزائري في شعره أنموذج القصيدة العمودية، وأبَانَ عن شاعريةٍ لا تَقِلُّ عن شاعرية البارودي شكلاً وموضوعاً.

فشعراء مدرسة الإحياء والبعث، كانت جلّ قصائدهم تدور حول إحياء التراث العربي القديم شكلا وموضوعًا كما ظهرت بوادر التجديد من خلال الوحدة الموضوعية عن طريق عنونة قصائدهم الشعرية، كما تطرقوا لمواضيع شعرية وطنية وقومية وسياسية وتاريخية لم يعهدها الشعر العربي القديم.

وعلى العموم فإنّ شعراء المدرسة الإحيائية، التزموا بالبناء العام للقصيدة العمودية، سعيا منهم في إحياء وبعث القصيدة العربية الحديثة من حالة الركود والجمود الذي خلفه عصر الضعف في العهد العثماني.